٤٦

شرح
الأصول الستة

تصنيف الإمام

محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي

المتوفى سنة (١٢٠٦) رحمه الله تعالى

شرح فضيلة الشيخ الدكتور

محمد مهدي بن محمد جميل النورستاني

حفظه الله

الشيخ لم يراجع التفريغ

النسخة الأولى

شَرْحُ

الأُصُولِ السِّتَّةِ

٤٦

شرح

الأصول الستة

تصنيف الإمام

محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي

المتوفى سنة (١٢٠٦) رحمه الله تعالى

شرح فضيلة الشيخ الدكتور

محمد مهدي بن محمد جميل النورستاني

حفظه الله

الشيخ لم يراجع التفريغ

النسخة الأولى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مُقدمة المشرفين على التفريغ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [سورة النساء: ١]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [سورة الأحزاب: ٧٠].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد صلي الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

إن من نعم الله تعالى على أمة محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم أن جعل فيها علماء ربانيين وأئمة في الدين، ورثوا من علم النبوة على قدر ما قسم الله لهم من ذلك الميراث العظيم الذي لا يعادله شيء من متاع الدنيا الفاني.

ومن رحمة الله بعباده: أنه كلما اشتدت حاجتهم إلى أمر من الأمور كلما يسر الله سبل تحصيله، ونوع لهم الطرائق الموصلة إلى نيله وبلوغه، ولما كان العلم أعظم ما يحتاجه العباد وليس لهم عنه غنى طرفة عين، ولا سيما علم العقيدة والتوحيد الذي هو أشرف العلوم وأزكاها، وأجلها قدرًا وأسناها،

والذي قد زادت الحاجة إليه في هذه الأزمنة المتأخرة، بسبب انتشار الأهواء والبدع، وكثرة المخالفين للتوحيد والمعتقد، والمجانبين للسنة والأثر.

ولما كان الأمر كذلك رأينا منة الله علينا في هذه الأعصر بوسائل كثيرة لحفظ العلم ونشره لم تكن متيسرة لمن قبلنا، وإن من تلك الوسائل حفظ الدروس في تسجيلات صوتية ومقاطع مرئية، تنقل العلم لفظًا ومعنى.

وكان من تمام نعمة الله علينا أن هيأ وسائل حديثة لحفظ هذا العلم، وهو ما يعرف بـ "التفريغات" والتي تنقل علم الشيوع من مسموع إلى مقروء، فتعين الطالب على توفير وقته وجهده، وتدعوه لجمع قلبه وعقله على حفظ العلم وضبطه، وتساعد على انتشاره عبر وسائل التواصل والتقنيات الحديثة، مما يهيئ السبل للانتفاع به، وتداوله بيسر وسهولة من قبل الدارسين والمتعلمين، بل والأساتذة والمدرسين في أحيان كثيرة.

ومن هنا جاءت فكرة المساهمة في تفريغ دروس فضيلة الشيخ الدكتور محمد محمدي بن محمد جميل النورستاني حفظه الله تعالى.

وقد يسر الله تعالى الخطوة الأولى لهذه المرحلة وهي إنشاء قناة للشيخ علي الشبكة، وكذا إنشاء حساب لدروسه في اليوتيوب، والتليجرام، كل ذلك حرصًا على الحفاظ على ما تيسر الحصول عليه من مجالس ودروس فضيلة الشيخ حفظه الله تعالى، وكان الذي فات منها وضاع إن لم يفق الموجود كثرة فلا يقل عنه عددًا، وعزاؤنا فيه أن الله يعلمه، وأن الملائكة كتبته، ونسأل الله عز وجل أن يتقبل ذلك من الشيخ وأن يجعله في موازين حسناته، ومن تلك الكتب التي لم نقف على تسجيلاتها:

- خلق أفعال العباد للبخاري.
- الرد على الجهمية للدارمي.
- نقض عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد، للدارمي.
- القاعدة المراكشية.

وغيرها كثير[١].

وجاءت المرحلة الثانية هذه، وهي سلسلة التفريغات الصوتية للدروس العلمية للشيخ محمد محمدي النورستاني حفظه الله تعالى، وستكون شاملة لجميع دروسه المسجلة، وهي على الترتيب التالي:

١- الأصول الثلاثة (**الشرح الأول ٨ مجالسًا**).

٢- الأصول الثلاثة (**الشرح الثاني ١١ مجلسًا**).

٣- الأصول الثلاثة (**الشرح الثالث ١٧ مجلسًا**).

٤- القواعد الأربع (**الشرح الأول مجلس واحدًا**).

٥- القواعد الأربع (**الشرح الثاني مجلسان**).

٦- القواعد الأربع (**الشرح الثالث مجلسان**).

٧- نواقض الإسلام.

٨- كشف الشبهات.

٩- كتاب التوحيد (**ولا زال مستمرًّا**).

١٠- العقيدة الواسطية (**الشرح الأول**).

١١- العقيدة الواسطية (**الشرح الثاني**).

١٢- العقيدة الواسطية (**الشرح الثالث**).

١٣- لمعة الاعتقاد.

١٤- العقيدة الطحاوية (**أربعون مجلسًا**).

١٥- القصيدة الحائية لابن أبي داود (**ثلاث مجالس**).

١٦- القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى.

---

(١) ونجد هذا الموضع فرصة لحث الإخوة من طلاب الشيخ ممن قد تبلغهم هذه التفريغات، ممن حضروا للشيخ مجالس في السابق وسجلوا شيئًا منها أن يتواصلوا معنا، فحفظهم لعلم الشيخ أقل ما يجب للشيخ علينا وعليهم، وهو من بر التلاميذ بمعلميهم والذي لا يقل أهمية عن بر الأبناء بآبائهم متى اقترن بالنية الصالحة.

١٧- الفتوى الحموية (٢٣ مجلسًا).

١٨- الجواب على الاعتراضات المصرية.

١٩- العقيدة التدمرية (الشرح الأول).

٢٠- **العقيدة التدمرية** (الشرح الثاني، ولا زال مستمرًّا).

٢١- نقض المنطق "الانتصار لأهل الأثر"، لابن تيمية (٢٣ مجلسًا).

٢٢- الإبانة الصغرى "الشرح والإبانة على أصول أهل السنة والديانة" لابن بطة (٣٨ مجلسًا).

٢٣- مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، لابن القيم. (ولا زال مستمرًّا).

٢٤- **شرح ابن أبي العز الحنفي على الطحاوية** (ولا زال مستمرًّا).

٢٥- **شرح القصيدة النونية "الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية" لابن القيم الجوزية** (ولا زال مستمرًّا).

٢٦- **شرح العقيدة الأصفهانية، لابن تيمية** (لم يكتمل).

٢٧- رسالة القضاء والقدر لابن عثيمين (مجلسان).

٢٨- رسالة قاعدة حسنة في الباقيات الصالحات، لابن تيمية.

٢٩- رسالة الأفعال الاختيارية من العباد لابن تيمية.

٣٠- فصل في الكلام على الاتحادية، لابن تيمية.

٣١- مسألة في حياة الخضر وادعاء لقائه، لابن تيمية.

٣٢- فصل في معنى الحي القيوم، لابن تيمية.

٣٣- **الإخنائية، لابن تيمية** (ولا زال مستمرًّا).

٣٤- محاضرات في العقيدة والتوحيد.

٣٥- مجالس تفسير سورة العنكبوت.

٣٦- مجالس تفسير سورة الأحزاب.

٣٧- مجالس تفسير سورة الزمر.

٣٨- المنظومة البيقونية (٤ مجالس).

٣٩- نزهة النظر (الشرح الأول ١٦ مجلسًا).

٤٠- نزهة النظر (**الشرح الثاني، لازال مستمرًا**).

٤١- المداخل إلى كتب السنة.

٤٢- التعليق على كتاب المدخل إلى صحيح البخاري (**٥ مجالس**).

٤٣- عقيدة الرازيين.

٤٤- صريح السنة للطبري.

٤٥- السنة للمزني.

٤٦- الأصول الستة.

٤٧- **سلسلة الحوار العلمي عن علم الكلام** (**لازال مستمرًا**).

٤٨- **الصفات المعنوية.**

٤٩- **قضية التفويض.**

ونبه هنا إلى أن هذه التفريغات معينة ومساعدة، إلا أنها لا تغني عن الدروس الصوتية والمرئية، ولا تكفي عن الاستماع إليها.

وما هذه التفريغات إلا جهد من بعض طلاب الشيخ حفظه الله تعالى، رغبوا في المشاركة في الخير، والمساهمة في خدمة العلم وأهله، فكتب الله أجورهم وشكر سعيهم، والشيخ حفظه الله تعالى لم يراجع هذه التفريغات.

وفي الختام: فإننا ندعو الله عز وجل أن يبارك للشيخ في علمه وعمله، وأن ينفع به الإسلام والمسلمين، وأن يبارك له في إتمام ما بقى، ونسأل الله له المزيد من فضله، وأن يمتعنا بعلمه، وأن يطيل عمره على طاعته، وأن يتقبل ذلك منه، وأن يكون ذخرًا له ورفعة وشرفًا يوم لقاء مولاه، ورؤيته سبحانه وحلول رضاه.

وشكر الله للإخوة القائمين على هذا المشروع وكتب أجرهم، وجعله من العلم الذي ينتفع به، وتجري لهم به الحسنات، وتضاعف بسببه الدرجات.

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وأصحابه

أجمعين.

للتواصل وإرسال الملحوظات والتصويبات

t.Shoroh.dr.alnorstany@tmail.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهدُ أن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد:

فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار ثم أما بعد:

فهذه الرسالة رسالة الأصول الستة للشيخ الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ من الرسائل المختصرة جدًا التي أخبر فيها رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن واقع الأمة في زمنه.

والواقع الذي يُخبر عنه الإمام محمد يغلب عليه طمسُ مَعالم التوحيد وانتشار البدع والخرافات، وانتشار الشرك، بل واعتقاد أن الشرك هو التوحيد.

وهذه الرسالة لم يؤلفها الشيخ محمد للتأصيل والتقرير والتوضيح، التوضيح في التأصيل والتوضيح في الرد، وإنما يُشير فيها إشاراتٍ خاطفة جدًا إلى أهميةِ هذه الأصول وهي الأصول الستة، يُشير إشارات خاطفة، ثم يُشير إلى ما حصل من القلب والخطر والخطأ في هذه الأصول.

وهذه الأصول التي ذكرها الإمام محمد هنا هي أهم الأصول في الدين الإسلامي، وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ يريد أن يضرب أمثلة لما حصل في هذه الأمة من انتشار البدع والخرافات، وكون أهل الحق منبوذًا أو متهمًا بتهم عديدة وما يشار إليه إلا بأنه زنديق أو مجنون وكل التهم التي يذكرها الشيخ محمد هنا في هذه الرسالة هي تهم اتهم هو بها رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث أن علماء زمانه أو كثيرًا من علماء زمانه لم يكونوا يشيرون إليه إلا بالزنديق وكأن كونه زنديقًا كان منتهمًا عليه بينهم.

من خفف لهجته كان يطلق عليه أنه خارجي، خارجي هذا العصر وإلا كان يطلق عليه أنه زنديق خارج الملة وليس له حظ في هذه الملة.

ويبدو لي أن هذه الأصول التي ذكرها هي فقط من باب بث الهموم، ومن باب الإشارة إلى الانحراف الكبير الذي حصل في هذه الأمة.

والإمام محمد -كما نعرف- أحد من جدَّد الله به هذا الدين، وأشهر المجددين في هذه الأمة هم أو من أشهرهم الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ وقبله شيخه الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وبعدهم شيخ الإسلام ابن تيميه رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وبعدهم أشهر المجددين هو الإمام محمد بن عبد الوهاب.

والذي حصل مع هؤلاء كلهم يعني كل واحد تختلف ظروفه عن الآخر إلا أن الذي امتازت به دعوة الشيخ محمد أنه وجد من يؤازره ووجد من يقِفُ معه بقوة السيف والسنان وانتشرت دعوته رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد وفاته، وكتبه ورسائله التي كانت تُحارَب بدأت تُطبع وتوزَّع وتدرَس وتُدارَس، وهذه نعمة من الله عَزَّوَجَلَّ، ونعمة منه أن تكون دراستنا في كتاب من كتبه رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

مِنْ أَعْجَبِ العُجَابِ وَأَكْبَرِ الآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى قُدْرَةِ المَلِكِ الغَلَّابِ سِتَّةُ أُصُولٍ بَيَّنَهَا اللهُ تَعَالَى بَيَانًا وَاضِحًا.

قال الشَّارح وفَّقه الله:

طبعًا الأصول كلها بينها الله عَزَّوَجَلَّ في كتابه وبينه رسوله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في سنته، ولكن هذه الأصول التي يذكرها الشيخ محمد هنا يعني هي من أوضح الأصول التي ينبغي أن تكون واضحة جدًا، يقول: (**بَيَّنَهَا اللهُ تَعَالَى بَيَانًا وَاضِحًا لِلْعَوَامِ فَوْقَ مَا يَظُنُّ الظَّانُّونَ، ثُمَّ بَعْدَ هَذَا غَلَطَ فِيهَا كَثِيرٌ مِنْ أَذْكِيَاءِ العَالَمِ وَعُقَلَاءِ بَنِي آدَمَ إِلَّا أَقَلَّ القَلِيلِ**).

هذه الإشارة من الشيخ محمد إلا أقل القليل هذه الإشارة، إشارة إلى واقعه وإلى زمنه، -ولله الحمد- بعد انتشار دعوته الوقت، أو بعد وفاته بزمنٍ يسير أو في أواخر حياته انتشرت دعوته -ولله الحمد- ونجِدْ أن من يحمل هذه العقيدة في أرجاء المعمورة كُثُر جدًا ولله الحمد.

وكل ما نقرأه في هذه الرسالة ننظر إليه على أنه واقع زمانه أو على أنه هو الذي كان عليه أهل زمانه.

طبعًا بما أنَّ الله ﷻ بينها بيانًا واضحًا للعوام فوقَ ما يظُن الظانون كما يقول الشيخ، وحصول الغلط من أذكياء العالم أسبابهُ كثيرة: منها عدمُ الاهتداء بالكتاب والسنة، كثيرًا من هؤلاء الأذكياء يظنُّون أن هناك مَصادر وهناك أيضًا منابعْ يستقون منها أصول الدين ولذلك نجدهم يُصابون ويُخطئون في المسائل التي ينبغي أن تكون واضحة للطلاب الصغار فضلاً عن الكبار، بدأ الشيخ يذكر هذه الأصول.

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

الأَصْلُ الأَوَّلُ

إِخْلَاصُ الدِّينِ للهِ تَعَالَى وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَبَيَانُ ضِدِّهِ الَّذِي هُوَ الشِّرْكُ بِاللهِ، وَكَوْنُ أَكْثَرِ القُرْآنِ فِي بَيَانِ هَذَا الأَصْلِ مِنْ وُجُوهٍ شَتَّى بِكَلَامٍ يَفْهَمُهُ أَبْلَدُ العَامَّةِ، ثُمَّ لَمَّا صَارَ عَلَى أَكْثَرِ الأُمَّةِ مَا صَارَ أَظْهَرَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ الإِخْلَاصَ فِي صُورَةِ تَنَقُّصِ الصَّالِحِينَ وَالتَّقْصِيرِ فِي حُقُوقِهِمْ، وَأَظْهَرَ لَهُمُ الشِّرْكَ بِاللهِ فِي صُورَةِ مَحَبَّةِ الصَّالِحِينَ وَأَتْبَاعِهِمْ.

قال الشارح وفقه الله:

إخلاص الدين لله ﷻ هذا هو التوحيد، والتوحيد هو أول واجب على المُكلَّف، ولما أنه أول واجب على المكلف وآخر واجب على المكلف أي أن آخر ما يجب على أن يكون عليه المسلم أن يقول: لا إله إلا الله بما أن هذا الأصل مهم إلى هذه الدرجة: (أنه أول واجب على المكلف وأخر واجب على المكلف فما الذي نتوقعه من الله ﷻ ومن رسوله؟

الذي نتوقعه والذي هو حاصل: أن الله ﷻ أوضح هذا الأصل توضيحًا لم يبق معه أي شبهة، الله ﷻ ذكر أن جميع الرسل والأنبياء أُرسلوا إلى هذا الأصل، أرسلوا لبيان هذا الأصل: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل:٣٦]، ويقول الله ﷻ: ﴿وَاعْبُدُوا اللهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾[النساء:٣٦].

وجميع الأنبياء والرسل الذين جاءوا إلى أُممهم كانوا يبدؤون دعوتهم بهذه الدعوة: (اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا)، وهذه الكلمة كلمة الشهادة (لا إله إلا الله) الكلمة التي بها يدخل الإسلام هذه الكلمة هي دعوة إلى التوحيد، (**لا إله**) أي ليس هناك معبودٌ بحق إلا الله ﷻ.

إذًا الله ﷻ بين هذا الأصل وكذلك بينه رسوله ﷺ بين هذا الأصل.

وقوله: (وَكَوْنُ أَكْثَرِ القُرْآنِ فِي بَيَانِ هَذَا الأَصْلِ مِنْ وُجُوهٍ شَتَّى بِكَلَامٍ يَفْهَمُهُ أَبْلَدُ العَامَّةِ، ثُمَّ لَمَّا صَارَ عَلَى أَكْثَرِ الأُمَّةِ مَا صَارَ أَظْهَرَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ الإِخْلَاصَ فِي صُورَةِ تَنَقُّصِ الصَّالِحِينَ وَالتَّقْصِيرِ فِي حُقُوقِهِمْ).

يقول الشيخ محمد هنا: أن (أَكْثَرِ القُرْآنِ فِي بَيَانِ هَذَا الأَصْلِ مِنْ وُجُوهٍ شَتَّى بِكَلَامٍ يَفْهَمُهُ أَبْلَدُ العَامَّةِ) طبعًا هذه التأكيدات كلها، بكلام يفهمه أبلد العامة، وبيانًا واضحًا للعوام فوق ما يظن الظانون، وأيضًا ستأتي من تأكيدات منه في بيان درجة الوضوح، كل هذا يدل على أن الانحراف في هذه الأصول ما كان ينبغي أن يحصل.

يقول الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ -بعدما ذكر توحيد المرسلين وبيَّن أن توحيد المرسلين هو توحيد العبادة- بعد ذلك يقول: «بل أن القرآن كلَّه في التوحيد» يقول: «القرآن إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته» وهذا هو التوحيد الخبري، التوحيد العلمي الخبري، وهذا التوحيد يدخل فيه توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات.

كل ما نجد في القرآن من الخبر عن الله ﷻ وعن أسمائه وصفاته وأفعاله هذا كله يُسمى التوحيد العلمي الخبري، طبعًا هذا هو التقسيم الثنائي للتوحيد عند أهل السنة، لأن التقسيم عند أهل السنة للتوحيد تقسيم ثنائي، وتقسيم ثلاثي، التقسيم الثلاثي توحيد الربوبية وتوحيد العبودية وتوحيد الأسماء والصفات.

أما في التقسيم الثنائي: التوحيد العلمي الخبري يتضمن توحيد الربوبية، والأسماء والصفات، والتوحيد الإرادي الطلبي الذي هو توحيد الإلوهية.

إذًا القرآن إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله وهذا هو التوحيد العلمي الخبري.

وإما دعوةٌ إلى عبادته ودعوةٌ إلى خلع كل ما يعبد من دون الله وهذا هو التوحيد الإرادي الطلبي، كل ما يخبر الله ﷻ عن نفسه، عن أسمائه وصفاته وهذا هو التوحيد العلمي الخبري لأنه خبر عن الله ﷻ، ولأنه توحيد يرجع إلى المعرفةِ والإخبار.

أما التوحيد الذي فيه دعوة إلى عبادته، فهذا هو التوحيد الإرادي الطلبي؛ لأنه يرجع إلى إرادةِ الإنسان وإلى طلبه وعبادته وعمله.

يقول: وإما أمر ونهيٌ وأمرٌ وإلزام بطاعته في أوامره ونهيه، وهذا هو من حقوق التوحيد.

وإما خبرٌ عن كرامة الله ﷻ لأهل التوحيد كيف أن الله ﷻ أكرمهم في الدنيا وكيف أنه سيُثيبهم في الآخرة وهذا جزاءُ التوحيد.

وإما خبر عن أهل الشرك وما نالهم من النَّكال في الدنيا، وما ينتظرهم من العِقاب في الآخرة، وهذا هو جزاء من ترك التوحيد.

ولننظر إلى سورة الفاتحة يقول: (الحمد لله رب العالمين)، الحمد لله: توحيد، (رب العالمين) توحيد، (الرحمن الرحيم) توحيد، (مالك يوم الدين) توحيد، (إياك نعبد) توحيد، (وإياك نستعين) توحيد إلى آخر ما ذكر.

إذًا الله ﷻ أوضح هذا الأصل، لأن عليه بناء الدين، التوحيد عليه بناء الدين، وبيان ضده الذي هو الشرك، الشرك جميعُ أنواع التوحيد يُقابلها أيضًا أنواع الشرك، مثلاً الشرك في توحيد الأسماء والصفات، والشرك في توحيد الربوبية، الشرك في توحيد الألوهية، ولكن الشرك الذي نُركِّز عليه هو الشرك في توحيد الإلوهية لماذا؟ لأن الشرك في توحيد الإلوهية يتضمَّن كما أن توحيد الإلوهية يتضمَّن بقية أنواع التوحيد وكذلك الشرك، والله ﷻ وضَّح التوحيد وما يُناقضه وهو الشرك: وأكثر القرآن في بيان هذا الأصل: (**ثُمَّ لَمَّا صَارَ عَلَى أَكْثَرِ الأُمَّةِ مَا صَارَ**) ما الذي صار؟ (**أَظْهَرَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ الإِخْلَاصَ فِي صُورَةِ تَنَقُّصِ الصَّالِحِينَ وَالتَّقْصِيرِ فِي حُقُوقِهِمْ**).

الشيطان لبَّس على الناس وقال: أن الصالحين لهم حقوق، ومن حقوقهم علينا: أن نستغيث بهم، وأن نتوسل بهم، وأن نذهب إلى مشاهِدهم وقبورهم، وأن نطلب منهم، أظهر الشيطان أن هذا الشرك كله هو أداءٌ لحقوقهم، وأن الإخلاص لله ﷻ أن تُخلِص لله ﷻ وتنبُذ كل ما يُعبد من دون الله ﷻ أظهر لهم الشيطان أن هذا تنقُّص الصالحين، ولذلك كان مما يُتهم به الشيخ محمد بن عبد الوهاب أنه يُنكر

الكرامات، وأنه لا يحب الصالحين، وأنه دائمًا يسب الصالحين، وأنه يُقصِّر في حقوقهم.

إذًا التوحيد أظهروه في صورة تنقص الصالحين، والشرك الصريح والصُّراح أظهروه في صورة أداء حقوق الصالحين، والله ﷻ بيَّن حقه علينا، ففي حديث عبادة بن الصامت ﷺ يقول: «**كُنْتُ رِدْفَ رَسُولِ اللّهِ صلى الله عليه و سلم عَلَى حِمَارٍ يُقَالُ لَهُ عُفَيْرٌ. قَالَ: فَقَالَ: يَا مُعَاذُ! أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللّهِ عَلَى الْعِبَادِ وما حقُّ العبادِ عَلَى الله؟ قَالَ قُلْتُ: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «فَإِنَّ حَقَّ اللّهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوا اللّهِ وَلاَ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا. وَحَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ لاَ يُعَذِّبَ مَنْ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا**».

الذي لا يُشرك بالله ﷻ شيئًا حقه على الله ﷻ أن لا يعذبه وهذا الحق هو تكرُّمًا من الله ﷻ ليس إلزامًا من أحد عليه وإنما تكرمًا ومنةً منه سبحانه.

والذي كان يحصل في زمن الشيخ محمد حتى في الجزيرة والآن هذا يحصل في خارج الجزيرة، ويوجد أيضًا في الجزيرة العربية من يدعو إلى هذا الشرك ومن يُطبِّل لهذا الشرك يوجدون، ولكنهم -ولله الحمد- قلَّة.

أما خارج هذه الجزيرة فهذا الذي يذكره الشيخ يعني شاهدٌ للعيان وهو كثيرٌ في البلاد الإسلامية وللأسف، يقولون: إذا أردتَ أن تتقرَّب إلى الله ﷻ وإذا أردتَ أن تصل إليه فلا يُمكن أن تصل إليه إلا عن طريق الصالحين، فما الذي يَجِب حسب زعمهم؟

يجب على الإنسان أن يذهب إلى هذه المزارات وهذه القبور، وأن يستغيث بالمقبورين ويطلب منهم التوسل، ويطلب منهم الشفاعة، والتقرب إلى الله ﷻ، وهذا هو الشرك الذي كان يُزاوله المشركون، المشركون في زمن النبي ﷺ ما كانوا يُشركون في الربوبية، كانوا يُثبتون أن الله ﷻ هو الذي خلقهم وهو الذي خلق السموات والأرض وهو الذي يُدبِّر الأمر كما ذكر الشيخ محمد، ذكر هذا الموضوع بشيءٍ من التفصيل في مقدمة كشف الشبهات وفي القواعد الأربعة.

ذكر أن المشركين في زمن النبي ﷺ لم يكن شركهم في توحيد الربوبية، وإنما كانوا يُشركون في توحيد الإلوهية.

إذًا ما نجده الآن في المُشاهد والمزارات والقبور هو الشرك الذي كان يزاوله المشركون في ذلك الوقت.

وقد حصل الترويج للشرك وحصل طمس معالم التوحيد على مراحل مُتدرِّجة، أول ما حصل من الانحراف في التوحيد حصل في توحيد الأسماء والصفات على يد الجهمية ثم حصل الانحراف في توحيد الربوبية والإلوهية على يد الصوفية والرافضة.

أقرب الناس إلى أهل السنة والجماعة –الآن– هم الأشاعرة والماتريدية إذا سألناهم وقلنا لهم: ما معنى (**لا إله إلا لله؟**) يقولون: (**لا إله إلا الله**) معناه: لا قادر على الاختراع إلا الله، يقولون: (لا إله إلا الله) معناه توحيد الربوبية وهؤلاء هم اقرب الناس إلى أهل السنة والجماعة فكيف بغيرهم؟!.

أما الصوفية ومن سلك منهجهم فيقولون: (**لا إله إلا الله**) معناه أن كل شيءٍ هو الله لأنهم يقولون: (لا إله) موجودًا إلا الله، كل شيء عندهم هو الله، والتوحيد عندهم كما يقولون نفي الاثنينية إذا أثبت أن هناك عبدًا وعابدًا، أو أن هناك خالقًا ومخلوقًا يقولون: هذه اثنينية، وهذا هو الشرك عندهم.

فللأسف كما قلت: حصل انحراف في هذا الباب على مراحل متدرِّجة، والنتيجة أن شرك مشركي قريش هو الذي يُزاول الآن باسم التوحيد، والذي يرد عليهم والذي يقول: أن هذا هو الشرك والذي يبين أن الله ﷻ بيَّن ووضَّح هذا الأصل، وأن ما تزاولونه هو الشرك يُتهم بتهمٍ كثيرة من أبرزها: أنه ممن يتنقَّص الصالحين، وممن يُقصِّر في حقوقهم، وهناك تُهَم أخرى كثيرة خلاصتها: أنه زنديقٌ أو مجنون كما ذكر الشيخ.

وقوله: (**وَأَظْهَرَ لَهُمُ الشِّرْكَ بِاللهِ فِي صُورَةِ مَحَبَّةِ الصَّالِحِينَ وَأَتْبَاعِهِمْ**).

والحقيقة التي نراها أن ما يحصل الآن، وما كان يحصل في زمن الشيخ بحجة محبة الصالحين هو الشرك بعينه، الله ﷻ يقول: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ﴾ [البقرة:١٦٥]، في هذه الآية يُشير الله ﷻ أن محبةَ غير الله ﷻ مثل محبة الله ﷻ هذا شرك، من يُحب غير الله ﷻ مثل محبته لله ﷻ يقول الله ﷻ: هذا شرك، ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ﴾ [البقرة:١٦٥] إذًا حبهم مثل حب الله ﷻ هذا جعلهم واتخاذهم أندادًا وشركاء مع الله ﷻ.

الذي يحصل الآن كما ذكر كثيرٌ ممن شرحوا هذه الرسالة الذي يحصل الآن هو محبتهم مثل محبة الله ﷻ، محبة الصالحين مثل محبة الله ﷻ أو أكثر.

من رأى صورة هؤلاء المشركين في مزاراتهم ومشاهدهم، ومن يرى خضوعهم أمام المقبورين، وفي تلك المشاهد خضوعهم وذلهم وحالتهم يجزم أن محبتهم لأولئك، وأن تقرُّبهم إليهم أكثر من محبتهم لله ﷻ، فإذا كانت محبَّتهم مثل محبة الله ﷻ شركًا فكيف بمن يحبهم أكثر من محبته لله ﷻ؟!

إذًا هذا ليس من محبة الصالحين، والصالحون إذا كانوا صالحين فهُم يدعون إلى التوحيد ويدعون إلى نبذ الشرك، ولا يرضون بشيءٍ مما يحصل باسمهم إذا كانوا صالحين.

أما من يدعو إلى عبادة نفسه ويدعو إلى أن يشرك مع الله ﷻ في المحبة، ويدعو إلى أن ينذر له ويُتقرَب إليه بالقرابين فهذا إبليس وشيطانٌ وليس من الصالحين، ليس له من الصلاح شيءٌ من الحق، هذا هو الأصل الأول.

الأصل الأول الذي عنوانه كلمة الشهادة (**لا إله إلا الله**) هذا الأصل حصل فيه من هذا الانحراف الذي أشار إليه الشيخ، وهذا غريب جدًا، الشيء الذي به ندخل الإسلام هل نتوقع أن أول ما ندخل به الإسلام يكون غامضًا إلى هذا الحد؟ لا أبدًا واضح وجميع الأنبياء وضَّحوه، وكذلك النبي ﷺ ركَّز عليه أكثر ووضَّحه، والقرآن كلَّه في التوحيد كما قلنا مع ذلك هذا الذي يحصل ليس لغموضٍ في الأدلة، وإنما هذا من ألاعيب الشيطان بهؤلاء، هذا هو الأصل الأول، الأصل الأول ما حصل في التوحيد.

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

الأَصْلُ الثَّانِي

أَمَرَ اللهُ بِالِاجْتِمَاعِ فِي الدِّينِ وَنَهَى عَنِ التَّفَرُّقِ فِيهِ، فَبَيَّنَ اللهُ هَذَا بَيَانًا شَافِيًا تَفْهَمُهُ العَوَامُ، وَنَهَانَا أَنْ نَكُونَ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا قَبْلَنَا فَهَلَكُوا، وَذَكَرَ أَنَّهُ أَمَرَ المُسْلِمِينَ بِالِاجْتِمَاعِ فِي الدِّينِ وَنَهَاهُمْ عَنِ التَّفَرُّقِ فِيهِ، وَيَزِيدُهُ وُضُوحًا مَا وَرَدَتْ بِهِ السُّنَّةُ مِنَ العَجَبِ العُجَابِ فِي ذَلِكَ، ثُمَّ صَارَ الأَمْرُ إِلَى أَنَّ الِافْتِرَاقَ فِي أُصُولِ الدِّينِ وَفُرُوعِهِ هُوَ العِلْمُ وَالفِقْهُ فِي الدِّينِ، وَصَارَ الأمر بِالِاجْتِمَاعُ فِي الدِّينِ لَا يَقُولُهُ إِلَّا زِنْدِيقٌ أَوْ مَجْنُونٌ.

قال الشّارح وفّقه الله:

كل ما يذكر الشيخ هنا (زنديق أو مجنون) هنا أو غيرها من التهم فإنما يُشير إلى نفسه لأنه رَحِمَهُ اللَّهُ ما كان يُتّهم إلا بهذه التهم، محمد بن عبد الوهاب زنديق، محمد بن عبد الوهاب مجنون، لماذا؟ لأنه يدعو إلى التوحيد، ولماذا؟ لأنه يدعو إلى الاجتماع في الدِّين.

في هذا الأصل يُبين الشيخ أن الله ﷻ أمر بالاجتماع وهذا من بديهيات هذا الدِّين أن هذا الدين يأمر بالاجتماع، وينهى عن التفرق، ويقول: بين الله هذا بيانًا شفيًا تفهمه العوام، الله ﷻ يقول: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران:١٠٣]، ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ [آل عمران:١٠٥]، ويقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللهِ﴾ [الأنعام:١٥٩]، ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى:١٣]، ويقول الله ﷻ: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٩٢].

إذًا الله ﷻ بيّن ووضّح أنه يأمر بالاجتماع في الدين وينهى عن التفرق والآيات في هذا الباب كثيرة جدًا.

أيضًا بيَّن الله ﷻ أنه إذا حصل شيءٌ من الخلاف أن هناك ما يُحسم به الخلاف وهو الرجوع إلى كتاب الله ﷻ وإلى سنة نبيه ﷺ.

وما يُشير إليه الشيخ أيضًا أن كثيرًا من الأحاديث فيها هذا البيان وهذا الأصل من ذلك قول النبي ﷺ : «**إن الله يرضى لكن ثلاثًا: أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولّاه الله أمركم**».

أخرجه الإمام مسلم بدون الجملة الأخيرة، وأخرجه غيره مع هذه الجملة الأخيرة «**وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم**».

إذًا الدِّين قرآنًا وسنةً يأمر بالاجتماع في الدِّين وينهى عن التفرُّق فيه.

والذي حصل -كما يقول الشيخ-: (**ثُمَّ صَارَ الأَمْرُ إِلَى أَنَّ الِافْتِرَاقَ فِي أُصُولِ الدِّينِ وَفُرُوعِهِ هُوَ العِلْمُ وَالفِقْهُ فِي الدِّينِ**)؛ يقول الشيخ: الآن يعني الذي ينظر في مدارس أهل البدع يقول: الافتراق في أصول الدين هو العلم عندهم والافتراق في فروع العلم هو الدين عندهم.

طبعًا الافتراق بدأ في أواخر عصر الصحابة ﷺ، أول من ظهر من أهل البدع كما هو معروف الخوارج والشيعة ثم القدرية الأوائل، ثم الجهمية والمعتزلة، وهؤلاء كلهم فرَّخوا وأصلَّوا وصارت لهم مدارس وأكثر المدارس تأثيرًا في الأمة مدرستان:

* مدرسة المتكلمين.
* ومدرسة الصوفية.

أما مدرسة المتكلمين: طبعًا الصوفية هم في باب السلوك في البداية هكذا كانوا في باب السلوك إلا أنهم توسَّعوا حتى انحرفوا حتى في التوحيد.

أما المتكلمون فهي مدرسة عقدية.

يقول الشيخ هنا: (**ثُمَّ صَارَ الأَمْرُ إِلَى أَنَّ الِافْتِرَاقَ فِي أُصُولِ الدِّينِ وَفُرُوعِهِ هُوَ العِلْمُ وَالفِقْهُ فِي الدِّينِ**)، الآن عندما ننظر إلى مدرسة المتكلمين يقولون: أن أول واجبٍ على المُكلَّف ليس هو كلمة الشهادة

وليس هو التوحيد، إن أول واجبٌ على المُكلَّف هو النظر، يقولون: هو النظر، النظر في الأدلة الكونية، ويقولون: لابد من الشك قبل النظر، لأن من ينظر وهو مُتيقنٌ في وجود الله ﷻ ومُتيقنٌ من التوحيد لن يستفيد من النظر.

ولذلك يقولون: -طبعًا مثل هذه الأقوال لما نذكرها قد تستغرب- إلا أن من يقرأ في كتبهم لن يستغرب وهذا هو دينهم، وهذا هو الذي يُدرَّس الآن عند الأشاعرة والماتريدية وبقية مدارس المتكلمين، أن أول واجبٌ عندهم هو النظر، كيف ينظر الإنسان؟ يقولون: لابد أن ينظر وهو كما نقول: ينظر من الصفر، يبني عقيدته من الصفر، لا ينظر وهو مُتيقِّن من شيء، من وجود الله ﷻ، من التوحيد، لأن هذا النظر لن يوصله إلى اليقين هكذا يقولون.

ويقولون: من يؤمن بالتوحيد، ومن يؤمن بالوحدانية، ومن يؤمن بأصول هذا الدين دون النظر ودون الاعتماد على النظر يقولون: هذا مُقلِّد، والمُقلِّد اختلفوا في إيمانه:

بعضهم يقولون: وهذا القول يُنسب إلى أبو الحسن الأشعري: أن المُقلِّد إيمانه ليس مُعتدًا به عند الله ﷻ.

وأكثرهم يقولون: المقلد إيمانه مُعتدٌ به إلا أنه يُعتبر مُقصرًا لأنه لم يبن إيمانه وعقيدته على النظر الكلامي.

طبعًا من نظر ومن بدأ بالشك ومن بدأ بهذا الجنون وتخلص من اليقين الذي وهبه الله ﷻ لينظر على أصول المُتكلِّمين بعد النظر قد يصل إلى نتيجة معينة، والثاني يصل إلى نتيجة معينة، والثالث يصل إلى نتيجة معينة لا يُمكن أن يجتمعوا في النتيجة، وهذا هو الحاصل.

أئمة النظر الجهمية والمعتزلة، نجد عندهم من الخلاف ما الله به عليم، بل هناك أُسَر معروفة مثلاً أبو هاشم الجبائي وابنه، الابن له مدرسة وأبوه له مدرسة، وهذا يُكفر الثاني وذاك يُكفِّر الثاني، وهذا هو واقع المتكلمين.

والذين ينادون الآن أن كتب علم الكلام هي كتب العقيدة يدعوننا إلى هذا التفرُّق، والشيخ محمد

هنا يُشير إلى مثل هذه البلايا: أن الافتراق في أصول الدِّين هو العلم عندهم، هم لا يقولون أنه يجب عليك التوحيد من البداية أبدًا لا يدعون إلى هذا، بل يقولون: من كان مُتيقنًا في أصول الدين عن طريق قراءته في القرآن والسنة، فهذا عندهم مقلد، المقلد عندهم يختلف عن المقلد في الفقه، نحن لما نتحدَّث عن المقلد في الفقه هو مقلد لأحد الأئمة الأربعة، وهذا الذي نُطلق عليه المُقلد.

أما المُقلِّد عند المتكلمين فهو المتبع الذي نُسمِّيه نحن موحدًا ومتبعًا هم يسمونه مقلدًا، لماذا؟ لأن إيمانه لم يكن عن طريق النظر في أدلتهم، والذي ينظر إلى أدلتهم يجد العجب العجاب، أدلتهم فيها من التعقيد مع أنهم يقولون: كل واحدٌ حرٌ في النظر إلا أنهم وضعوا أصولاً هذه الأصول هي أصول الافتراق، الذي ينظر حسب أدلتهم لن يصل إلى برد اليقين، ولن يصل إلى اليقين الذي يتوخاه، بل ما نجد في أئمتهم يعني يجب أن نعتبر به، أئمتهم مثل الرازي وقبله الشهرستاني وقبله الغزالي وقبله الجويني، وبعدهم كلَّهم يعني بعد الرازي الآمدي والخونجي، هؤلاء هم أئمة المتكلمين.

كلهم نجد أنهم قد ندِموا على هذا المنهج الذي ضيعوا فيه أعمارهم.

أحدهم يق

نهايـــة إقـــدام العقـــول عقـــالُ ....

وكلهم أخبروا أنهم لن يجدوا شيئًا من اليقين في منهجهم.

وللأسف الآن من يتبنَّون هذه المدارس وخاصةً المدرسة الأشعرية والمدرسة الماتريدية لا يستفيدون من أئمتهم، بل هم يقولون: لا نُسلِّم أن أئمتنا ندِموا، ويقولون: هذا الذي نراه من كلامهم هذا يتوقع من كل واحدٍ في آخر عمره نجد عنده شيئًا من التأسُّف فيما مضى، ونحن نقول: لماذا لم نجد هذا التأسُّف عند الإمام البخاري، ولماذا لا نجد هذا التأسف عند الإمام أحمد، وعند شيوخه، عند تلاميذه؟ لماذا نجدهم مطمئنين في أصولهم وفي منهجهم وفي مسلكهم؟ لماذا نجد هذا التأسف في أئمة المتكلمين فقط؟

هذا لا شك أنه تأسف، ولكن أهم من هذا أنه ندم، ولو أن أحدهم أُتيحَتْ له الفُرصة ومُدَّ في عُمره

يتمنى أن يؤصِّل عقديته على الكتاب والسنة مثل ما ذكره الرازي في وصية طويلة ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية، وذكرها أيضًا ابن أبي أصيبعة في كتابه وهو أحد تلاميذه وذكرها الكثيرون، وصية طويلة ذكرها في كتابه «أصول اللذات» وكتابه هذا لم يُطبع إلى الآن، بل لا يوجد لا مخطوطًا ولا مطبوعًا.

المهم الشيء الذي يُشير إليه الشيخ هنا أن الأصل وهو الاجتماع في الدين، هذا هو الأصل وهذا الذي أُمرنا به، وهذا الذي قرَّره القرآن، وهذا الذي قرَّره النبي ﷺ بل قرَّره الأنبياء كلهم وهذا الأصل ينقلب، ويقال: أن الافتراق في أصول الدِّين هو العلم، وهذا لا شك أنه انحرافٌ كبير وعجيب.

أيضًا يقول الشيخ: أن الافتراق في فروع الدِّين هو العلم عندهم وهو الفقه عندهم، طبعًا ما حصل من نشوء المذاهب الفقهية يعني هذا كانت بعض نتائجه حقيقة كارثية، مثلاً الآن كثيرٌ من الناس لما تنصحه وتقول: يا أخي هذا يُخالف السنة، يقول: أنا على مذهب فلان كأنه يعني جاء بآيةٍ صريحةٍ للرد على من ينصح، أنا على المذهب الفلاني وانتهى الأمر.

فهناك من هو على مذهب الإمام أبي حنيفة، هناك من هو على مذهب الإمام مالك، على مذهب الإمام الشافعي، على مذهب الإمام أحمد، وكثيرٌ من السُّنن قد ضاعتْ في خظم هذه الخلافات.

الآن مثلاً النية جهرًا للصلاة يعني نويت كذا وكذا كثير من الناس ينوي ويجهر، هذه النية ذكر الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن أحدًا من الأئمة الأربعة لم يقُلْ بها، بينما نجد أن المتأخرين يكادون يُجمعون على مشروعية هذه النية، يعني هذه البدعة انقلبتْ إلى سنة عند المتأخرين، وإذا قيل لهم: أن هذه بدعة، يقولون: هذه البدعة موجودة في الكتاب الفلاني وفي المذهب الفلاني، حتى المذاهب للأسف الشديد حصل فيها ما فيها.

الشيخ محمد بن عبد الوهاب من حسناته رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه جدد أيضًا المذهب الحنبلي، مثلما حصل من شيخ الإسلام ابن تيمية، طبعًا هؤلاء لما ينتسبون إلى المذهب الحنبلي لا ينتسبون إليه تقليدًا، ولكن ينتسبون إليه؛ لأنهم يأخذون غالب أصولهم، حتى شيخ الإسلام أحيانًا كان ينتسب إلى المذهب وشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ينتسب إلى المذهب، وأبناؤه وأحفاده ينتسبون إلى المذهب، ولكن

انتسابهم وانتساب أمثالهم مثل الشيخ ابن باز وابن عثيمين وغيرهم، انتسابهم إلى المذهب ليس تقليدًا بحجةِ أنهم يردُّون على المذهب، ويردون عليه إذا خالف المذهب.

أما انتساب غيرهم ممن يتعصَّبون للمذاهب فهذا الذي يشير إليه الشيخ هنا.

وطبعًا ضياع كثير من السُّنن لأجل الانتساب لهذه المذاهب طبعًا الحديث فيه طويل، في بعض البلاد التي ينتشر فيها المذهب الحنفي منها بلادنا، نجد أن مواقيت الصلاة سبحان الله العصر يُصلونه قريبًا من المغرب، والفجر يُصلونه قريبًا من طلوع الشمس؛ لأنهم يقولون: هناك حديث وهو ضعيف طبعًا يستدلون به ويتركون الأحاديث الصحيحة، هناك حديث: «أسفِروا بالصبح، فإنه أعظمُ للأجر»، وهذا الحديث ضعيف، وعلى صحته معناه: أقرئوا أكثر حتى تنصرفوا في وقت الإسفار، هذا الذي ذكره الإمام الشافعي.

فللأسف ما نستطيع أن ندعوا الناس ونقول لهم: هذه السنة، لأنهم يقولون: أنت أعلم من الإمام أبي حنيفة أو لا؟ أحد الإخوة من السلفيين يقول: صليت في مسجد في منطقة من مناطق أفغانستان ويقول: عَملتْ ببعض السنن من رفع اليدين والتأمين بالجهر بعد الصلاة يقول: أحاط بي كلهم وقالوا: كيف صليت؟ قالوا: أيش أنت أصلاً يعني؟

يقول: أنا قلت لهم أنا هندوسي، قالوا: كيف أنت هندوسي وتصلي معنا، يقول: أنا حُر أنا هندوسي، وأحيانًا أصلي وأحيانًا ما أصلي أنا حر يعني عندكم شيء؟ قالوا: لا أنت يبدوا أنك وهابي، قالوا: لا لست وهابي أنا هندوسي، الإمام جاء والناس يَسألون لماذا صليت هكذا؟ قال: أنا هندوسي سبحان الله، سكتوا لما سكتوا قال لهم: تبًا لكم ولعقولكم ولبدعكم ولخرافاتكم، إذا قلت هندوسي تتركوني أما إذا قلت: أنا عملت بهذه السنن لأن النبي ﷺ عَمِلَ بها أكون مُتهمًا عندكم بأنني وهابي أو شيء من هذا.

طبعًا هذا هو الحاصل -الحمد لله في هذه الجزيرة- يعني الآن ما نجد هذه المظاهر، ما يذكره الشيخ هنا نفس هذه الأمور موجودة في كثيرٍ من البلدان كل من يدعو إلى التوحيد الخالص وإلى السُّنة المحضة

وإلى السُّنة الخالصة يُتهم بنفس التُّهم التي ذكرها الشيخ محمد هنا:

إما هو زنديق إذا كان يدعو إليها على عمد.

أو هو مجنون إذا كان جاهلاً وهذا يُعذر بجهله.

يقول في الأخير: (**وَصَارَ الأمر بالِاجْتِمَاعُ فِي الدِّينِ لَا يَقُولُهُ إِلَّا زِنْدِيقٌ أَوْ مَجْنُونٌ**).

كما قلت هذا يُشير إلى نفسه، الشيخ محمد هنا يُشير إلى نفسِهِ؛ لأنه هو من كان يُتهم أنه زنديقٌ أو مجنون. فكل من يدعو إلى الاجتماع وكل من يقول: لابد أن نتبع السنة يقال: هذا خارجٌ عن الأمة، هذا يُلغي أقوال العلماء، هذا لا يحترم الأئمة الأربعة هذا كذا وكذا، طبعًا الأئمة الأربعة هم أئمة وليسوا أنبياء يعني مقامهم عظيم، ولكنهم يبقون أئمة وليسوا أنبياء، وليسوا معصومين، والدليل على أنهم ليسوا معصومين هذا الخلاف الآن في مسألة مثلاً لو كان فيها أربعة أقوال من المصيب فيها، أكيد أن المصيب فيها أحدهم، فما حكم الباقين؟ ولذلك يجب أن نتبع السنة وأن نتبع الدليل، ولا يجب علينا أبدًا أن نتبع ونقلد هذا المذهب أو ذاك، وخاصةً إذا علمنا الدليل، من يُقلِّد المذهب أو يتبع المذهب بعد ظهور الدليل فهذا فيه شبهٌ ممن كانوا يتخذون الأحبار آلهة وعنده شبهٌ مِمَن يعبدون غير الله ﷻ في هذه الأمور، لا ينبغي ولا يجب أن نتبع أحدًا غير الله ﷻ وغير سنة نبيه ﷺ في شيءٍ من الأمور وخاصة إذا ظهر الدليل.

نكتفي بهذا القدر وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

الأَصْلُ الثَّالِثُ

أَنَّ مِنْ تَمَامِ الِاجْتِمَاعِ السَّمْعَ وَالطَّاعَةَ لِمَنْ تَأَمَّرَ عَلَيْنَا وَلَوْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا، فَبَيَّنَ اللهُ هَذَا بَيَانًا شَائِعًا كَافِيًا بِوُجُوهٍ مِنْ أَنْوَاعِ البَيَانِ شَرْعًا وَقَدَرًا، ثُمَّ صَارَ هَذَا الأَصْلُ لَا يُعْرَفُ عِنْدَ أَكْثَرَ مَنْ يَدَّعِي العِلْمَ فَكَيْفَ العَمَلُ بِهِ.

قال الشّارح وفّقه الله:

هذا الأصل كما أشار إليه الشيخ يتعلق بالأصل الثاني، بما أن الله ﷻ أمر بالاجتماع ورسوله ﷺ أمر بالاجتماع وعدم التفرق فمن تمام الاجتماع وعدم التفرق السمع والطاعة لمن تأمر علينا أي لأولياء الأمور ولو كان عبدًا حبشيًا، فبين النبي ﷺ بيانًا شائعًا ذائعًا بكل وجه من أنواع البيان شرعًا وقدرًا.

طبعًا البيان الشرعي أو الأمر الشرعي أو الأمر الكوني بينهما فرق:

الأمر الشرعي: يكون محبوبًا لله ﷻ دائمًا ويكون مأمورًا.

أما الأمر الكوني والقدري: فلا يلزم أن يكون محبوبًا لله ﷻ ولكنه لازم الوقوع.

الأمر الشرعي يكون محبوبًا لله ﷻ ولكنه لازم الوقوع.

الأمر الشرعي يكون محبوبًا لله ﷻ دائمًا ولكنه قد يحصل وقد لا يحصل.

أما الأمر الكوني: فقد لا يكون محبوبًا لله ﷻ وقد يكون محبوبًا له، ولكنه لازم الوقوع.

النبي ﷺ بيّن هذا الأصل بكل وجهٍ من أنواع البيان شرعًا وقدرًا، والأحاديث التي وردت في هذا الباب كثيرة جدًا.

ثم قال: (ثُمَّ صَارَ هَذَا الأَصْلُ لَا يُعْرَفُ عِنْدَ أَكْثَرَ مَنْ يَدَّعِي العِلْمَ فَكَيْفَ العَمَلُ بِهِ).

من الأحاديث الواردة في هذا الأصل قول النبي ﷺ: «**أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة، وإن تأمر عليكم عبدٌ، فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين**».

وقوله ﷺ في حديث أبي هريرة: «**عليْكَ السَّمْعُ وَالطَّاعةُ في عُسْرِكَ ويُسْرِكَ، وَمنْشَطِكَ ومَكْرَهِكَ، وأَثَرَةٍ عَلَيْكَ**» أخرجه مسلم في صحيحه.

ومن الأحاديث الواردة في هذا الباب حديث بن عمرو رضي الله عنهما مرفوعًا عن النبي ﷺ قال: «**على المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكَرِه إلا أن يُؤمَر بمعصية، فإن أُمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة**»، والحديث أخرجه البخاري ومسلم.

وهذا الأصل حصل فيه الانحراف على مراحل:

أول من حصل منهم الانحراف في هذا الباب: هم الخوارج، ثم جاء المعتزلة فقنَّنوا له، الخوارج انحرفوا في هذا الباب عملاً، أما المعتزلة فجعلوه ضِمن الأصول الخمسة التي هي أصول دينهم، والأصول الخمسة للمعتزلة يعني كلها من حيث أسمائها كلَّها جميلة -يعني لا نخالفهم فيها في الظاهر- إلا أن ما يقصدون بها يعني كلها بدع، مثلاً الأصل الأول عندهم: التوحيد ولا أحد يخالفهم في التوحيد، إلا أن المراد بالتوحيد عندهم نفي الصفات، لأن التوحيد عندهم لا يحصل إلا بنفي الصفات.

وعند الجهمية لا يحصل إلا بنفي الأسماء والصفات كلها.

وعند الأشاعرة لا يحصل إلا بنفي بعض الصفات وإثباتُ بعضها.

فالتوحيد الذي لا يتم إلا بإثبات الصفات، جعلوه وجعلوا مُسماه لا يتم إلا بنفي الصفات هذا هو الأصل الأول من أصول المعتزلة، كما قلنا: أصول المعتزلة خمسة وعليها دينهم:

الأصل الأول: هو التوحيد.

الأصل الثاني: هو العدل، لا أحد يخالفهم بأن الله ﷻ عدلٌ في أحكامه ولا يظلم أحدًا، أن الله لا يظلم أحدًا، والله ﷻ حرَّم على نفسه الظلم، «يا عبادي أني حرَّمتُ الظُّلم على نفسي فلا تظالموا»، الله ﷻ عادلٌ وعدل وأحكامه كلها مبنية على العدل لا أحد يخالفهم في هذا، إلا أنهم يقصدون بالعدل، العدل الذي هم يرسمونه، يقولون: العدل لن يتم من الله ﷻ إلا إذا اتبَّع هذه الخطوط التي هم يرسمونها، **فمثلاً**: إذا كان الله ﷻ هو الذي يخلق أفعال العباد فليس من العدل أن يُعذِّبهم على الأفعال التي هو يخلقها، فلذلك

يقولون: نحن نقول: هو لا يخلق أفعال العباد، وبذلك يُشركون به، يجعلون بعض المخلوقات مخلوقات لغير الله ﷻ.

أهل السنة يقولون: هناك فرق بين الخَلق والفعل.

أفعال العباد تُنسب إلى العباد فعلاً فهم الذين يفعلونها سواءً كانت حسنةً وسواءً كانت سيئةً، فهذه أفعال العباد وتُنسب إليها، ويُحاسبون عليها.

وتُنسب إلى الله ﷻ خلقًا يعني هو الذي يخلق، ولكن الفعل يكون للعبد لأن العبد يُحاسب على هذه الأفعال، أما إذا نسبنا هذه الأفعال لله ﷻ فجميع أفعال العباد بما فيها من الأفعال السيئة والمُنكرات كلها تُنسب لله ﷻ عند المُرجئة وعند الجبرية وتُنسب إلى المخلوقات أو إلى العباد خلقًا وفعلاً عند المعتزلة.

يعني أفعال العباد عند الجبرية تُنسب إلى الله ﷻ خلقًا وفعلاً، وعند المعتزلة تُنسب إلى العباد خلقًا وفعلاً، وعند أهل السنة والجماعة تُنسب إلى الله خلقًا لأن الله ﷻ خالق كل شيء، وتنسب إلى العباد فعلاً هذا الأصل الثاني.

من أصولهم: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هذا أصلٌ من أصول الإسلام، ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ﴾ [آل عمران:١١٠]، يعني هذا التميز لهذه الأمة هو لكونهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، إلا أن المعتزلة أصَّلوا هذا الأصل للخروج على الحكام، يقولون: لابد من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولو بالسيف، والمعروف هو المعروف عندهم، والمنكر هو المنكر عندهم، فعندهم انحراف في هذا الباب من جهتين: الجهة الأولى أن هذا الأصل استخدموه للخروج على الحكام، وضادوا بهذا الأصل الأوامر والأصول والأحاديث والآيات التي في هذا الأصل، يقول الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء:٥٩]، وعندهم هذا الأصل خاص، ويُستخدم ويُستغل للخروج على الحكام باسم جميل لا أحد يُخالفهم في الاسم وهو الأمر بالمعروف والنهي عن

المنكر.

هل من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن نخرج عن النصوص الشرعية الواضحة؟ هذا ليس من الأمر بالمعروف ولا من النهي عن المنكر.

إذًا الوجه الأول من وجوه انحرافهم فيه: أنهم استخدموا هذا الأصل للخروج على الحكام.

الوجه الثاني: أن المعروف ليس هو المعروف عند الشرع، المعروف عندهم هو المعروف الذي هم يُحددونه، والمنكر ليس هو المنكر عند الشارع، وليس هو المنكر الذي نحنُ نعرفه لا، المنكر عندهم هو المنكر الذي هم يحددونه.

إذًا هذا الأصل أصَّلوه لإلزام الناس بدين المعتزلة، لأن دين المعتزلة هو المعروف مَنْ يُنكر دين المعتزلة فهو الذي يرتكب المنكر، فهذا الأصل خاص لإلزام الناس بدين المعتزلة، وأول من يلزم به هم الحكام.

هكذا سبحان الله! انقلب الأمر في هذا الأصل يعني بدل أن يُسمع ويُطاع للحكام، وبدل أن نعرف لهم حقهم، وبدل أن نلتزم بحدود الشرع في التعامل معهم، بدل ذلك كله يكون من يُشوِّش عليهم، ومن يخرج عليهم، ومَنْ يتكلم عليهم أكثر هو الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ولازال هذا الأمر إلى الآن يعني كل من يموج هذه الموجة يدَّعي أنه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يكون بارتكاب مُخالفة صريحةٍ للشرع.

لذلك يقول الشيخ هنا:

(**ثُمَّ صَارَ هَذَا الأَصْلُ لَا يُعْرَفُ عِنْدَ أَكْثَرَ مَنْ يَدَّعِي العِلْمَ فَكَيْفَ العَمَلُ بِهِ**)، وبقية الأصول للمعتزلة من الأصول عندهم الوعد والوعيد، هذا الأصل خاصٌ بتخليد أهل الكبائر في النار، والمنزلة بين المنزلتين، هذا الأصل خاصٌ أيضًا بأهل الكبائر يقولون: مُرتكب الكبيرة خرج من الإسلام ولم يدخل في الكفر باستثناء المنزلة بين المنزلتين، بقية الأصول يعني أسمائها وعناوينها كلها شرعية، إلا أن ما يَعنون بهذه الأصول كلها انحرافات، ومنها هذا الأصل الذي نعنيه هنا وهو الأمر بالمعروف والنهي عن

المنكر، يعني من يَسمع بهذا الأصل ويقول هذا الأصل اللي هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مَنْ يسمع بهذا الأصل لا يُخالفهم إلا إذا تعرف على مفهومهم ومرادهم بهذا الأصل، وهكذا بقية أصول المعتزلة.

والمقصد هنا أن كل من يخرج على الحكام وكل مَنْ يُدلي بدلوه في هذا الباب إلى الآن عنده نصيبٌ من أثر المعتزلة، من مذهب المعتزلة يُسمي الأشياء بغير أسمها ويعتبرون أنهم يأمرون بالمعروف والنهي عن المنكر.

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

الأصل الرابع

بَيَانُ العِلْمِ وَالعُلَمَاءِ، وَالفِقْهِ وَالفُقَهَاءِ، وَبَيَانُ مَنْ تَشَبَّهَ بِهِمْ وَلَيْسَ مِنْهُمْ، وَقَدْ بَيَّنَ اللهُ هَذَا الأَصْلَ فِي أَوَّلِ سُورَةِ البَقَرَةِ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿يَا بَنِي إِسْرائيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ [البَقَرَة:٤٠] إِلَى قَوْلِهِ قبل ذكر إبراهيم عليه السلام: ﴿يَا بَنِي إِسْرائيلَ﴾ [البَقَرَة:١٢٢]. وَيَزِيدُهُ وُضُوحًا مَا صَرَّحَتْ بِهِ السُّنَّةُ فِي هَذَا الكَلَامِ الكَثِيرِ البَيِّنِ الوَاضِحِ لِلْعَامِيِّ البَلِيدِ، ثُمَّ صَارَ هَذَا أَغْرَبَ الأَشْيَاءِ، وَصَارَ العِلْمُ وَالفِقْهُ هُوَ البِدَعَ وَالضَّلَالَاتِ، وَخِيَارُ مَا عِنْدَهُمْ لَبْسَ الحَقِّ بِالبَاطِلِ، وَصَارَ العِلْمُ الَّذِي فَرَضَهُ اللهُ تَعَالَى عَلَى الخَلْقِ وَمَدَحَهُ لَا يَتَفَوَّهُ بِهِ إِلَّا زِنْدِيقٌ أَوْ مَجْنُونٌ، وَصَارَ مَنْ أَنْكَرَهُ وَعَادَاهُ وَصَنَّفَ فِي التَّحْذِيرِ مِنْهُ وَالنَّهْيِ عَنْهُ هُوَ الفَقِيهَ العَالِمَ.

قال الشَّارح وفَّقه الله:

بالنسبة لهذه الأصول الذي حصل في هذه الأصول لو نستعرض هذه الأصول قد يُخيَّل إلينا أن مثلاً هذا الأصل (**الأصل الرابع**) قد نظن أن هذا الأصل الذي حصل فيه هو الأخطر وهو الأغرب.

بعد ذلك لما نقرأ في الأصل الخامس وما حصل من الخلق في أولياء الله، أولياء الله هم الذين يُحاربون الله ﷻ نظُن أن ما حصل في هذا الأصل هو الأغرب.

في الأصل الأخير لما يشترطون شروطًا تعجيزية للأخذ من الكتاب والسنة نقول: الذي حصل هنا هو الأغلب، في الحقيقة يعني نحن ما نستطيع أن كل الأصول ما حصل فيها غريب جدًا جدًا منها مثلاً في هذا الأصل: (**العِلْمِ وَالعُلَمَاءِ، وَالفِقْهِ وَالفُقَهَاءِ**)، ينبغي أن يكون معلومًا عند الجميع صغارًا وكبارًا كل من عنده نسبة من العلم، لابد أن يعلم أن العلم والعلماء والفقه والفقهاء هذا من بدهيات هذا الدين، من كان عنده علم بالكتاب والسنة فهو العالم، والعلم هو علم الكتاب والسنة، ومَنْ كان عنده ملكة الاستنباط من الكتاب والسنة فهو الفقيه، والفقه هو الاستنباط من الكتاب والسنة، فهذا هو الذي ينبغي

أن يكون معلومًا عند الجميع إلا أن الذي حصل في هذا الأصل كما يقول الشيخ: (ثُمَّ صَارَ هَذَا أَغْرَبَ الأَشْيَاءِ، وَصَارَ العِلْمُ وَالفِقْهُ هُوَ البِدَعَ وَالضَّلَالاَتِ، وَخِيَارُ مَا عِنْدَهُمْ لَبْسَ الحَقَّ بِالبَاطِلِ، وَصَارَ العِلْمُ الَّذِي فَرَضَهُ اللهُ تَعَالَى عَلَى الخَلْقِ وَمَدَحَهُ لا يَتَفَوَّهُ بِهِ إِلَّا زِنْدِيقٌ أَوْ مَجْنُونٌ)، سبق أن ذكرت أن الشيخ لما يقول، لما يطلق هذه الكلمات العنيفة فإنما يُريد نفسه؛ لأنه هو الذي رُمي بأنه زنديق وهو الذي اتُّهم بأنه مجنون يقصد نفسه وأمثاله ممن يعملون بالكتاب والسنة.

يقول: (وَصَارَ العِلْمُ الَّذِي فَرَضَهُ اللهُ تَعَالَى عَلَى الخَلْقِ وَمَدَحَهُ لا يَتَفَوَّهُ بِهِ إِلَّا زِنْدِيقٌ أَوْ مَجْنُونٌ، وَصَارَ مَنْ أَنْكَرَهُ) يعني من أنكر العلم الشرعي، (وَعَادَاهُ وَصَنَّفَ فِي التَّحْذِيرِ مِنْهُ) أي في التحذير من العلم الشرعي، (وَالنَّهْيِ عَنْهُ هُوَ الفَقِيهَ العَالِمَ).

نحنُ لو نستعرض أسماء من كان يتصدَّى لدعوة الشيخ محمد وأسماء من كتبوا في الرَّد عليه سنستغرب، من كتبوا عليه ومَنْ ردوا عليه كُثر طبعًا في العراق وفي المغرب وفي تونس وفي الحجاز وفي الهند في القارة الهندية يعني كثير ممن كان معروفًا بالعلم في ذلك الوقت، وممن له مؤلفاتٌ كثيرة جدًا كلهم كانوا يردون على الشيخ محمد وكانوا يعتبرونه زنديقًا أو مجنونًا، **لماذا؟** لأن الشيخ محمد يدعو إلى العلم الشرعي، ويرد على مَنْ لا يلتزم بالعلم الشرعي، ويدعو إلى الفقه الذي ينبغي أن نُسميه فِقهًا شرعيًا، وكذلك يدعو إلى الاستقاء والأخذ والتلقي من الكتاب والسنة فقط، ولذلك كان يسمى زنديقًا، وكان يُتهم بأنه مجنون.

ما حصل هنا مثل ما حصل في الأصول السابقة، ومثل ما حصل في الأصول اللاحقة.

يقول الشيخ هنا: (أن الله ﷻ بين من تشبه بهم وليس منهم، وقد بيَّن الله تعالى هذا الأصل في أول سورة البقرة من قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة:٤٠] إلى قوله قبل ذكر إبراهيم ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة:٤٧].

طبعًا في ثنايا هذه الآيات آياتٌ كثيرة فيها بيان ما حصل من اليهود والنصارى، وخاصةً ما حصل من علمائهم من ذلك قوله سبحانه: ﴿وَلا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٤٢]،

يعني وأيضًا قوله سبحانه: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة:٤٤].

هنا في هذه الآيات يبين الله ﷻ أن أحبار اليهود والنصارى والذين كانوا ليسوا طبعًا هم العلماء عندهم، وفي الحقيقة ليسوا علماء وإنما هم مُتشبهون بالعلماء على تعبير الشيخ.

أولئك الذين كانوا كان المتوقع منهم أن يُبينوا العلم الشرعي هم الذين كان يحصل منهم كتمان الحق، وتلبيس الحق بالباطل، لأن الباطل لما يكون واضحًا لا يروج على كثير من الناس، متى يروج على كثير من الناس؟

لما يُلبَّس الحق بالباطل، ﴿وَلا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٤٢]، إذًا الباطل لما يُلبَّس بشيءٍ من الحق، فإنما يروج على كثيرٍ من الناس وهذا الذي كان يحصل منهم، ولذلك ذكر الله ﷻ هذه الآيات لينبهنا ويُحذرَنا من الوقوع فيما وقع فيه أولئك، ولذلك يقول علماؤنا: «**من فسد من علماؤنا ففيه شبهٌ من اليهود، ومَنْ فسد من عبادنا ففيه شبه بالنصارى**» الذين يعلمون ومع ذلك يُلبِّسون ولا يعلمون بعلمهم فشبههم باليهود الذين هم المغضوب عليهم.

أما الذين يعبدون الله ﷻ بجهل وعلى جهل، فشبههم بالنصارى الذين هم الضالون.

إذًا بين الله ﷻ في هذه الآيات أن في هذه الأمة إما أن يكون علماء الذي يعملون بعلمهم فهُم هم العلماء حقًا، أما من حصل منهم تشبهٌ باليهود والنصارى فكما قلنا إذا كانوا علماء ففيهم شبهٌ باليهود، وإذا كانوا عُبَّاد يعني يعبدون الله ﷻ بجهل ففيه شبهٌ بالنصارى.

ويزيده وضوحًا ما صرَّحت به السنة في هذا الكلام الكثير البيِّن الواضح للعامي البليد، لأن أي عامي إذا سألناه وقلنا له: ما هو العلم؟ سيقول لنا: العلم هو العلم بالكتاب والسنة، طبعًا نحن نتحدَّث عن العلم الشرعي لسنا نتحدث عن الهندسة والطب وغيرها، نحن نتحدث عن العلم الشرعي، حتى العامي البليد عندما يُسأل عن العلم فيسقول: العلم هو الكتاب والسنة، إلا أن الذي حصل كما يقول الشيخ: (**ثُمَّ صَارَ هَذَا أَغْرَبَ الأَشْيَاءِ، وَصَارَ العِلْمُ وَالفِقْهُ هُوَ البِدَعَ وَالضَّلَالَاتِ**)، الشيخ هنا سبحان الله! في كل جُملة

وفي كل ما يكتبه كأنه يبُث همومه هُنا.

نحن الآن لما ننظر إلى ما يُدرَس باسم العلم في كثيرٍ من المدارس حتى -الآن- طبعًا كما ذكرنا الجزيرة العربية الحمد لله حصل فيها من الخير الكثير بعد دعوة الشيخ يعني ما نحمد الله ﷻ عليه، ولكن في كثيرٍ من بلاد المسلمين توجد هذه الأمور التي يُشير إليها الشيخ توجد بل قد تكون أكثر منها.

الذي يُدرَس هناك باسم العلم وباسم الفقه، باسم الفقه تُدرَس كتب الفقه المُتأخرة، التي هي مليئة بالبدع في جميع الأبواب يعني وأنا لا استثني في هذا سواءً أن كتب الأحناف، أو كتب الشافعية، أو كتب المالكية حتى كتب الحنابلة يعني كتب الفقه المتأخر فيها كثيرٌ من البدع.

ومن حسنات الشيخ محمد: أنه كان دائمًا يُنبه على ما حصل في الفقه الحنبلي بخصوصه، لأن هذا الذي كان مُنتشرًا عندهم، كان يُنبه إلى ما حصل في هذا الفقه وإلى ما دخل فيه من كثيرٍ من البدع باسم الفقه، إذًا ما يُدرس الآن باسم الفقه في المدارس فيها هذه الكتب التي لا تُمثل حتى فقه الأئمة الأربعة، مثلاً الذي يُدرَس في المدارس الحنفية منسوبًا إلى الإمام أبي حنيفة أكثره ضلالات يعني الإمام أبو حنيفة بريء منها، والذي يُدرَس في بقية المدارس نفس الشيء يعني لما نُقارن بين كتب الإمام الشافعي وبين ما يَدرُسه الشافعية الآن فيه فروق، وكذلك عند المالكية.

ومن أبرز الأدلة على ذلك: أن الإمام الشافعي والإمام أحمد والإمام مالك حتى الإمام أبو حنيفة هم من أئمة أهل السنة في العقيدة، وحتى في الفقه فهم من أئمة أهل السنة، وما نجده في كتب أتباعهم المُتأخرين يعني فيها من الأمور، فيها من البدع والضلالات ما الله به عليم.

مثلاً بعض ما نجده في الفقه الشافعي مثلاً ذكروا بعض الأمور التي هي مكفرات، اعتبروها مكفرات وهي من أصول التوحيد، والإمام الشافعي كان يُبدِّع ويُناظر من يذهب إلى هذه الضلالات، نجد في كتب الشافعية نجد أن الشافعية ذكروا أمورًا واعتبروها من نواقض الإسلام وهي من أصل التوحيد، مثلاً ذكروا أن من يُشير إلى فوق ويعتبر أن الله ﷻ فوق العرش قالوا: هذا من نواقض الإسلام، وسبحان الله! هل يكون النبي ﷺ قد ارتكب ناقضًا من نواقض الإسلام لما أشار إلى فوق وقال: «اللهم أشهد»

وكذلك الإمام الشافعي لما قرَّر هذا هل كان مُرتكبًا ناقضًا من نواقض الإسلام ..وهكذا.

الشيخ هنا يُشير إلى الكتب التي الآن تُدرَس باسم الفقه وتُدرَس باسم العقيدة، وكل ما نجده فيها أو أكثر ما نجده فيها البدع والضلالات، وخيار ما عندهم لَبْس الحق بالباطل وصار العلم الذي فرضه الله على الخلق ومدحه لا يتفوه به إلا زنديقًا أو مجنون، هذا الذي حصل في هذا العصر.

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

الأَصْلُ الخَامِسُ

بَيَانُ اللهِ سُبْحَانَهُ لِأَوْلِيَاءِ اللهِ وَتَفْرِيقُهُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ المُتَشَبِّهِينَ بِهِمْ مِنْ أَعْدَاءِ اللهِ المُنَافِقِينَ وَالفُجَّارِ، وَيَكْفِي فِي هَذَا آيَةٌ مِنْ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ وَهِيَ قَوْلُهُ: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ﴾ [آلِ عِمْرَانَ: ٣١]. وَآيَةٌ فِي سُورَةِ المَائِدَةِ وَهِيَ قَوْلُهُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المَائِدَة:٥٤]. وَآيَةٌ فِي يُونُسَ وَهِيَ قَوْلُهُ: ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ۞ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [يُونُس٦٢-٦٣]، ثُمَّ صَارَ الأَمْرُ عِنْدَ اللهِ أَكْثَرُ مَنْ يَدَّعِي العِلْمَ وَأَنَّهُ مِنْ هُدَاةِ الخَلْقِ وَحُفَّاظِ الشَّرْعِ إِلَى أَنَّ الأَوْلِيَاءَ لا بُدَّ فِيهِمْ مِنْ تَرْكِ إِتِّبَاعِ الرُّسُلِ وَمَنْ تَبِعَهُمْ فليس منهم، وَلَا بُدَّ مِنْ تَرْكِ الجِهَادِ فَمَنْ جَاهَدَ فَلَيْسَ مِنْهُمْ، وَلا بُدَّ مِنْ تَرْكِ الإِيمَانِ وَالتَّقْوَى فَمَنْ تَعَهَّدَ بِالإِيمَانِ وَالتَّقْوَى فَلَيْسَ مِنْهُمْ يَا رَبَّنَا نَسْأَلُكَ العَفْوَ وَالعَافِيَةَ إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ.

قال الشّارح وفّقه الله:

هذا الأصل أيضًا كما ذكرنا ما حصل فيه شيء لا يُصدقه العقل لولا وقوع هذه الأمور.

في هذا الأصل يُشير الشيخ يعني أكثر إشارته في هذا الأصل في الرّد على المتصوفة، كما أن أكثر ردِّه في الأصل الذي قبلَهُ على المُتكلمين والمُتفقه ومنهم أيضًا الصوفية، ولكن في هذا الأصل أكثره ردًا على المتصوفة.

هناك كتاب لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ وهو مطبوع وهو مِنْ روائع كتبه وهو «الفرقان بين أولياء الله وأولياء الشيطان» نحنُ إذا تساءلنا وقلنا: هل نحنُ بحاجة إلى أن يؤلَّف كتاب كبير في الفرق بين أولياء الله وأولياء الشيطان؟ هل وصلنا إلى هذا الحد حتى يأتي أحد ويقول: هذا ولي الشيطان وهذا مُتبع الشيطان وهذا ولي الرحمة؟

فعلاً قد وصلنا إلى هذا الحد، ولذلك ألَّف شيخ الإسلام ذلك الكتاب، ولذلك يشير شيخ الإسلام

محمد هنا في هذا العصر، الله ﷻ بيَّن أولياءه مَنْ الذي يُمثل ولاية الله ﷻ، أفضل وأحسنُ من يُمثله الأنبياء والرسل عليهم السلام ثم أتباعهم الأمثل فالأمثل، وقد بيَّن الله ﷻ في هذه الآيات التي سردها الإمام محمد يعني في الآية الأولى مثلاً فيها بيان كيف تنال ولاية الله ﷻ هذا سؤال؟

والآية فيها جواب هذا السؤال: (﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ﴾[آلِ عِمْرَانَ: ٣١]). إذًا أعظم صفة للأولياء الحقيقيين إتباع النبي ﷺ، (﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ﴾[آلِ عِمْرَانَ: ٣١])، الطريق الوحيد لنيل ولاية الله ﷻ ونيل محبته إتباع النبي ﷺ وهذه الآية يُسميها العلماء كما ذكر ابن كثير وغيره: (**آية المحنة**) مَنْ يدَّعي محبة الله ﷻ ومن يدَّعي محبة النبي ﷺ يُختبر في إتباعه للنبي ﷺ.

نجد كثيرًا من أهل البدع يعقدون مجالس الموالد، ميلاد النبي ﷺ، ويرتكبون في تلك المجالس بِدعًا قد تكون مُناقضةً للتوحيد، ولا شك أنها تُناقض إتباع النبي ﷺ، هذا ليس من محبة النبي ﷺ في شيء، محبة النبي ﷺ تكون بإتباعه، إذًا في هذه الآية بيَّن الله ﷻ كيف تُنال ولاية الله ﷻ.

في الآية الثانية: (﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المَائِدَةِ: ٥٤])، هنا أثبت الله ﷻ المحبة من الطرفين، من الله ﷻ لعباده المؤمنين ومن عبادِهِ المؤمنين له سبحانه، ومما حصل في هذا الباب يعني مما حصل من الانحراف في هذا الباب ما ذهب إليه المُعتزلة والجهمية والأشاعرة من إنكار صفة المحبة كلهم أنكروا صفة المحبة، قالوا: (يُحبهم) معناه أنه يُثيبهم، وسبحان الله يعني الله ﷻ هل كان ينقصه أن يُعبر بما يريد؟ يعني دائمًا هو يعبر بما لا يَليق به، وأنتم عندكم ما شاء الله العلم أكثر والتعبير عندكم أدق، ما الذي أعجز الله ﷻ أن يُعبر مثلاً لو كان يُريد أن يقول: يُثيبهم أو يُحسن إليهم كان يُعبر هكذا، لماذا قال: (يحبهم ويحبونه)؟

وأيضًا في قول الله ﷻ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة:١٦٥] الله ﷻ أثبت الحب من الطرفين، يحبهم ونحن نؤمن بأن الله ﷻ يُحب عباده المؤمنين، والله ﷻ يُحب من اتبع سنة نبيه ﷺ هذا أولاً.

وقوله: (**ويحبونه**) أيضًا نحن نؤمن أن أصل العبادة هي المحبة وروح العبادة هي المحبة، لأن العبادة لابد فيها من الخوف والرجاء والمحبة، وأي عبادةٍ تكون خاليةً من هذه الأركان الثلاثة لا تكون عبادةً شريعة، أي عبادة لابد فيها من الخوف والرجاء والمحبة، والعبادة التي لا تكون فيها هذه الأركان الثلاثة جملةً أو لا تكون فيها بعضها لا تكون عبادة شرعية.

وطبعًا كلهم ينفون المحبة من الله ﷻ لعباده، أما محبة العبادة لله ﷻ فهذا يُثبته الأشاعرة ويُنكره المعتزلة والجهمية.

يقول الله ﷻ هنا: (﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة:٥٤]) هذا مظهر من مظاهر هؤلاء الذين هم أولياء الله ﷻ، (﴿أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾) هذا أيضًا مظهر من مظاهرهم، ﴿يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ﴾ [المائدة:٥٤]، هذه بعضُ الأعمال التي بها يَنالون ولاية الله ﷻ.

إذًا في هذه الآية بيانُ بعض الأعمال التي بها تُنال ولاية الله ﷻ، وفيها بيان بعض أولئك الأولياء.

أما في سورة يونس قول الله ﷻ: ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ۞ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [يُونُس: ٦٢-٦٣]، هنا بيَّن الله ﷻ جزاء أولياءه ما هو جزائهم؟ ﴿ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾، لا هم يحزنون على شيءٍ فاتهم ولا هم يخافون لشيء يستقبلونه، هذا جزائهم.

ثم عرَّف الله ﷻ بالولي، ولي الله ﷻ من يكون؟

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾، الذين آمنوا أولاً الله ﷻ قدم الحكم وبيان جزائهم قدَّمه وهو أنهم لا يخافون ولا هم يحزنون قدَّمه من لطفه سبحانه بمن يُحبه، الله ﷻ من لطفهِ بمن يُحبُهُ من عبادِهِ المؤمنين قدَّم جزائهم قبل أن يُبين حقيقتهم وحقيقتهم الذين آمنوا، فمن هنا أجمل الله ﷻ في المؤمن به الذين آمنوا بالله ﷻ، آمنوا بتوحيده، بأنواعه، وبملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره، وآمن أيضًا بكلِّ ما يزيد الإيمان به، يعني هنا الله ﷻ أجمل في المؤمَن به.

﴿وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ ذكر بعض من شرح هذه الرسالة أن المراد بـ(**التقوى**) هنا في هذه الآية بخصوصها

المراد بـ(التقوى) هنا العمل لأن الله ﷻ دائمًا يذكر الإيمان والعمل الصالح، فذكر هنا الإيمان وهو كما نعرف الإيمان هو تعريفه عند أهل السنة والجماعة ويدخل فيه أيضًا العمل لكن الله ﷻ دائمًا يذكر أو كثيرًا ما يذكر الإيمان، ثم يُتبع ذكر العمل الصالح ليس لأن الإيمان لا يتضمن العمل الصالح، ولكن لبيان أهم أركانه، مثلاً في سورة العصر: ﴿وَالْعَصْرِ ۞ إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۞ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [العصر:٣]. نحن نقول: وأهل السنة يقولون: أن الإيمان هو قولٌ باللسان وعمل بالأركان واعتقادٌ بالجنان، هذا هو تعريف الإيمان عند أهل السنة والجماعة إلى أن يدخل فيه العمل، فلماذا ذُكر العمل هنا؟ إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات، لماذا ذكر؟

نقول: أن هذا من باب عطف الخاص على العام لأن الإيمان فيه عمل وفيه أيضًا اعتقاد وهذا أعم، والعملُ خاص وهذا من عطف الخاص على العام، لماذا ذكر؟ من حكمة الله ﷻ يعني لذكر العمل بعد الإيمان مع أنه داخلٌ فيه للتنويه به وحتى لا يُظن أن الإيمان يُكتفي به، وأن الإيمان هو العمل القلبي فقط، لذلك ذكر العمل.

من هذا الوجه ذكر بعض العلماء هنا: أن المراد بالتقوى هنا في هذه الآية بخصوصها العمل، وسواءً أن كان المراد بالتقوى هنا العمل أو لا، فإن الإيمان يدخل فيه العمل، كما قلنا الإيمان عند أهل السنة هو اعتقادٌ بالجنان وقولٌ باللسان، وعمل بالأركان، الذين آمنوا وكانوا يتقون.

إذًا تعريف الولي: أن الولي هو الذي يُؤمن بالله ﷻ يكون مؤمنًا بأركان الإيمان وبقية ما يجب الإيمان به ويكون مُتخذًا هذا تعريف الولي، طبعًا هذا التعريف نحن أخذناه من النص هذا.

يقول الشيخ: (ثُمَّ صَارَ الأَمْرُ عِنْدَ اللهِ أَكْثَرُ مَنْ يَدَّعِي العِلْمَ وَأَنَّهُ مِنْ هُدَاةِ الخَلْقِ وَحُفَّاظِ الشَّرْعِ)، صار الأمر عند أكثر من هو معروف بالعلم، وأنهم من هُداة الخلق، وحُفاظ الشرع، أي من العلماء الكبار، صار عندهم أن أولياء الله لابد فيهم من ترك إتباع الرسل ومن تبعهم فليس منهم.

هنا بعض التفاوت في النُّسخ حتى لا تستغربوا يعني النسخة التي عندي فيها إلى هنا، (ومن تبعهم فليس منهم). وفي بعض النسخ هنا في بعض الزيادات.

يقول: (**ثُمَّ صَارَ الأَمْرُ عِنْدَ اللهِ أَكْثَرُ مَنْ يَدَّعِي العِلْمَ وَأَنَّهُ مِنْ هُدَاةِ الخَلْقِ وَحُفَّاظِ الشَّرْعِ إِلَى أَنَّ الأَوْلِيَاءَ لَا بُدَّ فِيهِمْ مِنْ تَرْكِ إِتِّبَاعِ الرُّسُلِ وَمَنْ تَبِعَهُمْ فليس منهم**)، كما ذكرت أن هذا الأصل أكثر ما يرد فيه الشيخ يرد على المتصوفة، لأن المتصوفة عندهم مراحل العلم مرحلتان عندهم:

المرحلة الأولى: يسمونها الشريعة.

والمرحلة الثانية: يُسمونها الحقيقة.

والمؤمن عندهم يبدأ بالمرحلة الأولى، وفي هذه المرحلة يجب عليه مثل ما يجب على بقية المؤمنين لابد أن يُصلي ويُزكي ويحج ويلتزم بما يأمره الله ﷻ به وينتهي عن المُنهيات، ثم لما يَصِلْ ويقطع مرحلة ويصل إلى درجة المشاهدة هنا يدخل مرحلة أخرى وهي مرحلة الحقيقة.

في هذه المرحلة لا يجوز له أن يكون مثل ما كان عليه في المرحلة الأولى، لأن مرحلة الحقيقة تختلف عن مرحلة الشريعة، يقولون: الشريعة للعوام والحقيقة للعلماء، للأولياء، من كان في مرحلة الشريعة لا يجوز له أن يسلك منهج من كان في مرحلة الحقيقة، ومن وصل درجة المشاهدة عندهم لا يجوز له أن يعمل بشيءٍ مما في الشرع لأن الولي قد تجاوز هذه المرحلة.

ندقق هنا في تعبير الشيخ يقول: إلى أن أولياء الله لابد فيهم –حتى لا نستغرب كلام الشيخ– لابد فيهم من ترك إتباع الرسل لماذا؟ **لأنهم يقولون** في هذه المرحلة يعني أصحاب الكشوفات والأحوال وأصحاب الشعوذة يعني لا يكون وليًا حتى يُخالف الشريعة، لماذا يخالف الشريعة؟ ليعمل بالحقيقة؛ لأنه لم يُعد من مرحلة الحقيقة حتى يُخالف الشريعة، أما من عمل بالشريعة وألتزم بالشريعة، فهذا سيظل في هذه المرحلة ولن يترقى إلى درجةِ الحقيقة، سبحان الله!

يعني لا يصل المرء إلى ولاية الله ﷻ إلا بمخالفة نبيه وبمخالفة رسله وبترك الدين بالكلية، ما الذي حصل في هذه الأمة! سبحان الله !

وهؤلاء الذين يُشير إليهم الشيخ لهم وجودٌ ولهم رَغبات والله احتاج أن أقول هنا وهناك معروفون سواءً في قارة آسيا وسواءً في القرن الأفريقي وسواءً في بعض مناطق الخليج أيضًا لهم وجود للأسف الشديد، وهؤلاء لا شك أن زندقتهم أشنعُ من زندقة الكفار الأصليين، لا أشك في هذا ولا لحظة، من

يقول أن ولاية الله ﷻ لا تُنال إلا بمعاداته وبالخروج من الشريعة بالكلية هذا زنديق، والكافر الأصلي أحسن منه بكثير لأن هذا الخبيث يعني يجر الناس وكثيرٌ من الناس يظنون أنه يُمثِّل الشريعة ولذلك نجد أن كثيرًا من الناس يسجدون له ويتقربون إليه بالقرابين ويذبحون له ويرتكبون الشرك الصريح وهم مُستأنسون، بل يدعون إلى هذا كلِّه ويوهمونهم بأنهم بارتكابهم لمثل هذه الأمور فإنهم يتقربون إلى الله ﷻ والله المستعان.

الأصل السادس في هذا الأصل كما قلنا في كل أصل سنقول هذا الذي حصل هنا هو الأغرب، في هذا الأصل يستعرض الشيخ شبهةً من شبهات القوم التي وُضعت لصد الناس عن الكتاب والسنة بالكلية، طبعًا والشُّبَه التي وُضعت لهذا الغرض هي عديدة ومتنوعة، بعض الشُّبهة وُضعت لبيان أن الكتاب والسنة أو القرآن والسنة لا يُفيدان اليقين، وبعض الشُّبه خُصَّت بها السنة مثلاً القول بأخبار الآحاد هذه الشُّبهة وُضعت لرد السنن كليةً، وليس كما يظن بعض الناس أن هذه الشبهة تستهدف أخبار الآحاد فقط أما الأحاديث المتواترة فلا تَنالها هذه الشبهة لا، أصحاب هذه الشبهة الذين وضعوا هذه الشبهة هم يقولون: لا وجود للحديث المتواتر كل السنة عندهم آحاد من يوافقهم في هذا التقسيم وفي تفريعات هذا التقسيم مَنْ يُوافقهم فيها فإنه لابد أن يوافقهم في النتيجة وهي عدم الاعتداد بأخبار الآحاد في العقائد وفي كل ما يُفيد اليقين.

ولا شك أن كثيرًا من الأصوليين حتى الذين ينتسبون إلى السُّنة قد انجرفوا في الشبه ووافقوا المعتزلة في أصل الشبهة وفي بعض تفريعاتها.

ومن الشبه أيضًا التي وُضعت لصد الناس عن الكتاب والسنة: ما سموه بمسألة الدور قالوا: إذا أثبتنا وجود الله ﷻ بالاستناد إلى الكتاب والسنة فهذا يستلزم الدور فلذلك لا يجوز الاستدلال بالكتاب والسنة في الأصول الإلهية مثل ما نجده عند المتكلمين.

أما هذه الشبهة التي ذكرها الشيخ هنا هذه نجدها عند كثيرٍ من الأصوليين، يقول الشيخ:

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

الأصل السادس

رَدُّ الشُّبْهَةِ الَّتِي وَضَعَهَا الشَّيْطَانُ فِي تَرْكِ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ وَاتِّبَاعِ الآرَاءِ وَالأَهْوَاءِ المُتَفَرِّقَةِ المُخْتَلِفَةِ، وَهِيَ أَنَّ الْقُرْآنَ وَالسُّنَّةَ لَا يَعْرِفُهُمَا إِلَّا المُجْتَهِدُ المُطْلَقُ، وَالمُجْتَهِدُ هُوَ المَوْصُوفُ بِكَذَا وَكَذَا أَوْصَافًا لَعَلَّهَا لَا تُوجَدُ تَامَّةً فِي أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، فَإِنْ لَمْ يَكُنِ الإِنْسَانُ كَذَلِكَ فَلْيُعْرِضْ عَنْهُمَا فَرْضًا حَتْمًا لَا شَكَّ وَلَا إِشْكَالَ فِيهِ، وَمَنْ طَلَبَ الهُدَى مِنْهُمَا فَهُوَ إِمَّا زِنْدِيقٌ وَإِمَّا مَجْنُونٌ؛ لِأَجْلِ صُعُوبَةِ فَهْمِهِمَا فَسُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ كَمْ بَيَّنَ اللهُ سُبْحَانَهُ شَرْعًا وَقَدَرًا خَلْقًا وَأَمْرًا فِي رَدِّ هَذِهِ الشُّبْهَةِ المَلْعُونَةِ مِنْ وُجُوهٍ شَتَّى بَلَغَتْ إِلَى حَدِّ الضَّرُورِيَّاتِ العَامَّةِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ: ﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ ۝ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۝ وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ [يس: ٧-١١].

قال الشارح وفقه الله:

قوله: (رَدُّ الشُّبْهَةِ الَّتِي وَضَعَهَا الشَّيْطَانُ)، وإلا يعني هل هناك مؤمن يضع شيئًا يصد به الناس عن الكتاب والسنة، لا شك أن من يضع شيئًا من هذه الشبه هو الشيطان وأولياؤه.

قال: (التي وضعها الشيطان فِي تَرْكِ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ وَاتِّبَاعِ الآرَاءِ وَالأَهْوَاءِ المُتَفَرِّقَةِ المُخْتَلِفَةِ، وَهِيَ أَنَّ الْقُرْآنَ وَالسُّنَّةَ لَا يَعْرِفُهُمَا إِلَّا المُجْتَهِدُ المُطْلَقُ، وَالمُجْتَهِدُ هُوَ المَوْصُوفُ بِكَذَا وَكَذَا أَوْصَافًا لَعَلَّهَا لَا تُوجَدُ تَامَّةً فِي أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ).

هنا أيضًا هناك بعض الزيادات في بعض النسخ.

(وَمَنْ طَلَبَ الهُدَى مِنْهُمَا فَهُوَ إِمَّا زِنْدِيقٌ وَإِمَّا مَجْنُونٌ؛ لِأَجْلِ صُعُوبَةِ فَهْمِهِمَا).

والله ﷻ يقول: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾ [القمر:١٧]، والله ﷻ يسَّر القرآن وسنته

أيسر يعني ما هي تلك الصورة التي تصد الناس عن الكتاب والسنة، لو نُقارن بين القرآن وبين السنة وبين بعض المتون التي ندرسها ونأخذ العلم منها لا مقارنة يعني القرآن والسنة فيهما من الوضوح ومن السهولة ما ليس في تلك المتون التي تُعتبر مصدرًا للعلم، مع ذلك يقولون: إياك أن تأخذ الهدي من القرآن والسنة مباشرة، لماذا؟ لأن **القرآن والسنة** ما يعرفهما إلا من اتَّصف بكذا وكذا وكذا، الخلاصة يكون مُجتهدًا مُطلقًا، مَنْ المجتهد المطلق؟ **ذكروا الأوصاف** التي كما قال الشيخ قد لا توجد تامةً في أبي بكر وعمر.

أولاً نقول: تلك الأوصاف التي نجدها في كتب الأصول هي شروط للمفتي، وليست لفهم القرآن، تلك الشروط وُضعت للمفتي مع أن كثيرًا مما ذُكر في تلك الأوصاف لا يُمكن التسليم لها، لأن فيها تعقيد للأمور أكثر من اللازم، ولكن الذي يُفتي والذي يُريد أن يجتهد، لاشك أن له شروط، تلك الشروط للمفتي وللمجتهد وليست لفهم القرآن.

ثانيًا هذه الشروط التي ذُكرَت للمُجتهد المُطلق هناك أيضًا مَسألة أخرى وهي أن المجتهدين الاجتهاد المطلق لا وجود لهم الآن، كثيرٌ من الأصوليين يجزمون بأن باب الاجتهاد المطلق قد أُغلق بعد الأئمة الأربعة.

إذا ضممنا هذه الشبهة إل هذه الشبهة تكون النتيجة أن القرآن والسنة لا يعرفهما إلا المجتهد المطلق، وبما أن الاجتهاد المطلق بابه مغلق الآن، فلذلك لا يُمكن لأحد أن يهتدي وأن يأخذ من الكتاب والسنة مباشرةً لأن هذا الباب مُغلق وسبحان الله! يعني هل أَنزل الله ﷻ القرآن إلى تلك القرون فقط؟ من أحسن من كتب في الرد على هذه الشبهة أصوليًا الإمام الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه «الأصول» يقول: «هل أَنزل الله ﷻ القرآن لتلك القرون فقط، أما المسلمون الذين يأتون إلى يوم القيامة ليس لهم نصيب في القرآن والسنة بحجة أن الاجتهاد بابه قد أغلق؟».

ولا شك أن هذا خطأ والاجتهاد الصحيح من أقوال العلماء أن الاجتهاد أيضًا يتجزَّأ لا يلزم للاجتهاد أن يكون كل من يستنبط من الكتاب والسنة مُجتهدًا مُطلقًا، بل يجوز أن يكون مُجتهدًا في مسألة

دون مسألة، من بحث مثلاً في مسألة وجمع فيها أقوال العلماء وجمع فيها الأدلة قد يكون مُجتهدًا في هذه المسألة، وهذا الذي نَعنيه بقولنا: بجواز تجزأ الاجتهاد، الاجتهاد يعني قد يكون في مسألة دون مسألة وقد يكون في أكثر من مسائل، وقد يكون في أكثر المسائل.

إذًا الاجتهاد المطلق، وما نُسج حوله من هذه الأمور لصد الناس عن الكتاب والسنة، هذه كما عبَّر عنها الشيخ شُبهة ملعونة، وهذه الشُّبهة يعني لا شك أن الذي وضعها هو الشيطان. إلى وقت قريب كنا نسمع أن من لم يتبحَّر في أربعة عشرة علمًا لا يجوز له أن يَستنبط شيئًا من الكتاب والسنة، والأربعة عشر علمـًا هذه من البلاغة والمعاني والبديع وأصول الفقه والمصطلح أمور كثيرة والصرف والنحو.

كل هذه الشبه لا شك أنها من وضع الشيطان والقرآن والسنة ليس فيهما تعقيدًا إلى هذا الحد بل الله ﷻ هو الذي أخبرنا: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾ [القمر:١٧].

قال رحمه الله: (فَسُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ كَمْ بَيَّنَ اللهُ سُبْحَانَهُ شَرْعًا وَقَدَرًا خَلْقًا وَأَمْرًا فِي رَدِّ هَـذِهِ الشُّبْهَةِ المَلْعُونَةِ مِنْ وُجُوهٍ شَتَّى بَلَغَتْ إِلَى حَدِّ الضَّرُورِيَّاتِ العَامَّةِ)

﴿الم ۞ ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة:١-٢]، إذًا إذا لم يكن يستطيع أن يهتدي من الكتاب والسنة وإذا لم يكن يفهمه، إذا كان لا يمكنه أن يفهم فكيف يكون هدى للمتقن؟ طبعًا اختصاص (المتقين) هنا لأنهم هم المستفيدون وإلا هو الهدى للجميع، ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ ليس معناه أن غيرهم لا يمكنهم الاهتداء به، ذُكر المتقون هنا؛ لأنهم هم المستفيدون فعلاً، وإلا هو هدى للجميع.

ثم قال: (وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ: ﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ۞ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلالاً فَهِيَ إِلَى الأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ ۞ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدّاً وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدّاً فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ ۞ وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ۞ إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ [سُورَة يَس: ٧-١١]).

هذا هو الذي أشار إليه الشيخ هنا خلقًا وشرعًا وقدرًا، لأن هؤلاء بما أنهم أعرضوا عن كتاب الله ﷻ فالله ﷻ سدَّ عليهم الطُّرق التي من خلالها يُمكن أن يهتدوا، ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدّاً وَمِنْ خَلْفِهِمْ

سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ ۞ وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ۞ إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ [يس:٧-١١]. من كان يتبع الذكر هو الذي يستفيد من ذلك، من كان يخشى الرحمن هو الذي يستفيد بذلك.

وَالحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

ونكتفي بهذا القدر ونسأل الله أن ينفعنا بما قرأنا ودرسنا وسمعنا، وأن لا يجعله حجة علينا ونسأل الله أن يجزي الشيخ محمد المجدد على هذه الكتب الرائعة وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.